السجينة

[هذه نغمات جديدة مطربة نرحب بها لانها صادرة عن شعور وخيال وتأمل. فهي تذكرنا بوردزورث الشاعر الانكليزي الذي فُتن بالطبيعة فنظم في وصفها شعراً فتاناً بصدقه وسلاسته وبلاغته يكشف عما في جمال الطبيعة من روعة للناظر وعبرة للمتأمل . وتذكرنا ايضاً بما سبقهُ اليهِ شعراء الاندلس وما ابتدعوهُ من التشابيه والاستعارات بكأن البلاد الجبلية الكثيرة الآكام والوهاد والحراج والفياض والانهار والبحيرات تولد في النفوس صوراً خيالية وتوحي اليها بالمعاني الشعرية]

لعمرك ما حزني لمالٍ فقدتهُ ... ولا خان عهدي في الحياة حبيبُ
ولكنني أبكي واندب زهرةً ... جناها ولوعٌ بالزهور لعوبُ
رآها يحلّ الفجرُ عقد جفونها ... ويُلقي عليها تبرَهُ فيذوبُ
وينفض عن اعطافها النورُ لؤلؤاً ... من الطلّ ما زُرّت عليهِ جيوبُ
فعالجها حتى استوت في يمينهِ ... وعاد الى مغناهُ وهو طروبُ
وشاء فاست في الإناء سجينةً ... لتشبع منها أعينٌ وقلوبُ
ثوت بين جدرانٍ كقلب مضيفها ... تلمّسُ فيها منفذاً فتخيبُ
فليست تحيّي الشمس عند شروقها ... وليست تحيّي الشمس حين تغيبُ
ومن عُصبت عيناهُ فالوقت كلهُ ... لديهِ — وإن لاح الصباح — غروبُ

* * *

لها الحجرةُ الحسناء في القصر انما ... احبُّ اليها روضة وكثيبُ
وأجمل من نور المصابيح عندها ... حباحبُ تمضي في الدجى وتؤوبُ
ومن فتياتِ القصر يرقصن حولها ... على نغماتٍ كلهنّ عجيبُ
تراقصُ اغصان الحديقة بكرةً ... وللريح فيها جيئةٌ وذهوبُ
وأجمل منهنّ الفراشات في الضحى ... لها كالاماني سكنةٌ ووثوبُ

وأبهى من الديباج والخزّ عندها ... فراشٌ من العشب الخضيل رطيبُ
وأحلى من السقف المزخرف بالدمى ... فضاءٌ تشعّ الشهب فيهِ رحيبُ
تحنّ الى مرأى الغدير وصوته ... وتحرم منهُ والغدير قريبُ
وليس لها للبؤس في نسَم الربى ... نصيبٌ، ولم يسكن لهنّ هبوبُ
اذا سُقيت زادت ذبولاً كأنما ... يُرشُّ عليها في المياه لهيبُ
وكانت قليل الطلّ ينعش روحها ... وكانت بميسور الشعاع تطيبُ
بها من انوف الناشقين توعّكٌ ... ومن نظرات الناسقين ندوبُ
وفيها كمقطوع الوريدين صفرةٌ ... وفيها كمصباح البخيل شحوبُ
تمشّى الضنى فيها وايّار في الحمى ... وجفّت وسربال الربيع قشيبُ

***

ايا زهرة الوادي الكئيبة انني ... حزينٌ لما صرتِ اليهِ كئيبُ
وأكثر خوفي ان تظني بني الورى ... سواءً وهم مثل النبات ضروبُ
واعظم حزني ان خطبكِ بعدهُ ... مصائب شتى لم تقع وخطوبُ
سيطرحكِ الانسان خارج داره ... اذا لم يكن فيكِ العشيّةَ طيبُ
فتمسين للاقذار فيك ملاعبٌ ... وفي صفحتيكِ للنعالِ نصيبُ

***

اسارك يا اخت الرياحين مفجعٌ ... وموتكِ يا بنت الربيع رهيبُ
ولكنها الدنيا، ولكنهُ القضاء، ... وهذا لعمري مثل تلك غريبُ
فكم شقيت في ذي الحياة فضائل ... وكم نعمت في ذي الحياة عيوبُ
وكم شيم حسناء عاشت كأنها ... مساوىء يخشى شرّها وذنوبُ

نيويورك — ايليا ابو ماضي